# بلاغة الالتفات القرآني عند الألوسي

**Rhetorical Of The Quranic Apostrophe In Alusi Interpretation**

تاريخ الإرسال: 15-12- 2017 تاريخ القبول: 18-02-2018

**الطالب: شيحا نصر الدين**

**chihanasro@yahoo.fr**

**تخصص: البلاغة والأسلوبية**

**المشرف: أ.د شريفي عبد اللطيف**

**جامعة 08 ماي 1945 قالمة (الجزائر)**

**الملخص:**

الالتفات أحد المصطلحات المهمة في الدراسات البلاغية والأسلوبية، وقد اعتنى الألوسي بإبراز هذا الأسلوب في القرآن عند تفسيره للآيات القرآنية، وأبان الفوائد المبتغاة من وراء هذا الأسلوب.

وهذا البحث يحاول إظهار جمالية البيان القرآني التي التمسها الألوسي في تفسيره، والبلاغة التي اشتمل عليها القرآن الكريم من خلال أسلوب الالتفات والانتقال من إحدى الصيغ الثلاثة: الحكاية، الخطاب، الغيبة إلى غيره وأهم دلالاته.

**الكلمات المفتاحية:** الالتفات، الألوسي، الدلالة، الانزياح

**Abstract:**

Apostrophe is one of the most important terms in rhetorical and stylistic studies. Al-Alusi tended to highlight this method in the Qur'an when interpreting the Qur'anic verses and showing the desired benefits and behind this style.

This research attempts to illustrate the magnificence of the Qur'anic eloquence solicited by al-Alusi in his interpretation, and to which extent this eloquence included in the Holy Quran through the apostrophe style and transition from one of the three figures: the story, the speech, the absence of others and the most important denotations.

**Keywords**: apostrophe, alusi, denotation, ecart.

## مفهوم الالتفات:

_ لـغة:

عرفه ابن منظور: ( لفت ) لَفَتَ وجهَه عن القوم صَرَفَه والْتَفَتَ التِفاتاً والتَّلَفُّتُ أَكثرُ منه وتَلَفَّتَ إِلى الشيء والْتَفَتَ إِليه صَرَفَ وجْهَه إِليه ...وفي الحديث فكانتْ مِنِّي لَفْتةٌ هي المرَّة الواحدة من الالْتِفاتِ واللَّفْتُ اللَّيُّ ولَفَتَه يَلْفِتُه لَفْتاً لواه على غير جهته وقيل اللَّيُّ هو أَن تَرْمِيَ به إِلى جانبك ولَفَتَه عن الشيء يَلْفِتُه لَفْتاً ... اللَّفْتُ الصَّرْفُ يقال ما لَفَتَك عن فلانٍ أَي ما صَرَفَك عنه ؟ "[1]

وجاء في مقاييس اللغة: " ( لفت ) اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة، منه لفت الشيء لويته ولفت فلانا عن رأيه صرفته.[2]

_اصطلاحا:

وفي اصطلاح البلاغيين هو: التحويل في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث: "التكلم – والخطاب – والغيبة" مع أن الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير وفق

الطريقة المختارة أولا دون التحول عنها"[3].

وهو فن بديع من فنون القول يشبهه تحريك آلات التصوير السينمائي بنقلها من مشهد إلى مشهد آخر في المختلفات والمتباعدات التي يراد عرض صور منها، ومفاجأة المشاهد بلقطات منها متباعدات، ولكنها تدخل في الإطار الكلي الذي يراد عرض طائفة من مشاهده تدل على ما يقصد الإعلام به.[4]

ويعرفه محمد أبو موسى: "لون من ألوان الصياغة يعين ذا الموهبة الصادقة على الإيحاء بكثير من اللطائف والأسرار، ويلفت النفس المتلقية الواعية إلى كثير من المزايا، وكلما أمعنت النظر في مواطنه من الكلام الرفيع بانت لك وجوه من الحسن تزيدك إحساسًا بقدرته.[5]

ويقول عنه ابن عاشور: نرى من أفانين الكلام الالتفات وهو نقل الكلام من أحد طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى طريق آخر منها، وهو بمجرده معدود من الفصاحة، وسماه ابن جني شجاعة العربية لأن ذلك التغيير يجدد نشاط السامع فإذا انضم إليه اعتبار لطيف يناسب الانتقال إلى ما انتقل إليه صار من أفانين البلاغة وكان معدودا عند بلغاء العرب من النفائس، وقد جاء منه في القرآن ما لا يحصى كثرة مع دقة المناسبة في الانتقال.[6]

ورأى الألوسي أن أحسن الالتفات أن يكون النقل من إحدى الصيغتين إلى الأخرى في سياق واحد لمعلوم[7]

ويتبين من هذه التعريفات وغيرها أن الصفة العامة التي تشترك فيها هي العدول عن كلام إلى غيره، أو هو الخروج عن كلام منتظم إلى غيره، فهو ينفي الرتابة عن النص ويخرج به من نسق إلى نسق، وهذا ما دعته الدراسات الأسلوبية الحديثة انحرافا، والنتيجة الطبيعية التي ترتبت على ذلك هي النظر إلى الأسلوب الأدبي باعتباره انحرافا عن الأسلوب المعياري، من حيث أنه منبه متميز يحدث استجابة متميزة.

وإذا كان البلاغيون يتفقون على الفوائد الدلالية لهذا الأسلوب، إلا أنهم مختلفون حول مجالاته والأمور التي يتحقق فيها، فجمهور البلاغيين ومن بينهم الألوسي يقصره على الانتقال من احدى الصيغ الثلاث: الحكاية والخطاب والغيبة إلى الأخرى.

أما الزمخشري ومن بعده السكاكي وابن الأثير يتوسعون فيه ويجعلونه الانتقال من أسلوب إلى أسلوب أو الخروج عن مقتضى الظاهر، فهم يدخلون في هذا الباب الانتقال من الضمير إلى الظاهر، والظاهر إلى الضمير، ومن إحدى صيغ الفعل: الماضي والمضارع إلى الأخرى وغير ذلك مما يعد من التحول الأسلوبي.[8]

والالتفات يحقق فوائد عامة من بينها:

1- التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع[9] ، وقد تعرض حازم القرطاجني لهذا الأثر العام للالتفات فقال: وهم يسأمون الاستمرار على ضمير المتكلم أو ضمير مخاطب، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة، وكذلك أيضا يتلاعب المتكلم بضميره، فتارة يجعله تاء على جهة الإخبار عن نفسه، وتارة يجعله كافا، فيجعل نفسه مخاطبا، وتارة يجعله هاء، فيقيم نفسه مقام الغائب.[10]

2- الاقتصاد والإيجاز في التعبير، لأن دلالة الالتفات تغني عن ما يمكن فهمه ذهنا.

وأما بواعث الالتفات الخاصة فهي أكثر من أن تحصى أو توضع تحت قاعدة معينة، لأن كل قسم من أقسام الالتفات مختص بفائدة أو فوائد تميزه من غيره. فالتعظيم مثلاً نجده يدور حيث وُجِد الالتفات بجميع أقسامه، وكذا التهديد والتحقير وغيرها. حيث لكل موضع فائدة، وكان السياق وأقوال المفسرين والبلاغيين كفيلة ببيان هذه البواعث.

واعتنى الألوسي بإبراز هذا الأسلوب في القرآن، وأبان الفوائد واللطائف المبتغاة من وراء هذا الأسلوب. والقارئ لتفسيره يلاحظ كثرة ترديده في هذا المبحث قوله: "وهذا من باب الالتفات"، أو قوله: "وهذا على جهة الالتفات" ، وقد بين صوره الستة في تفسيره وفوائده عند كل صورة، فجاءت على هذا النحو:

- **الأول: الالتفات من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة:**

وقد يأتي للمبالغة في التقبيح، وقد أشار إليه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس: 22]، فكان الكلام في صدر الآية جاريا على أسلوب الخطاب: {هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك}، وبعد ذلك انتقل الكلام إلى أسلوب الحديث عن الغائب: {وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جآءتها ريح عاصف}، "وهو التفات للمبالغة في تقبيح حالهم كأنه أعرض عن خطابهم وحكى لغيرهم سوء صنيعهم"[11] ، وقد رأى ابن عاشور أن الالتفات في هذه الآية لمجرد التلوين في الأسلوب فيقول: "ومن بديع الأسلوب في الآية أنها لما كانت بصدد ذكر النعمة جاءت بضمائر الخطاب الصالحة لجميع السامعين، فلما تهيأت للانتقال إلى ذكر الضراء وقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمير الغيبة لتلوين الأسلوب بما يخلصه إلى الإفضاء إلى ما يخص المشركين فقال: وجرين بهم على طريقة الالتفات، أي وجرين بكم. وهكذا أجريت الضمائر جامعة للفريقين إلى أن قال: فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق فإن هذا ليس من شيم المؤمنين فتمحض ضمير الغيبة هذا للمشركين، فقد أخرج من الخبر من عدا الذين يبغون في الأرض بغير الحق تعويلا على القرينة لأن الذين يبغون في الأرض بغير الحق لا يشمل المسلمين.

وهذا ضرب من الالتفات لم ينبه إليه أهل المعاني وهو كالتخصيص بطريق الرمز."[12]

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (92) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: 92، 93] وأصل الكلام (وتقطعتم أمركم بينكم) على الخطاب فالتفت إلى الغيبة "لينعي عليهم ما فعلوا من الفرق في الدين وجعله قطعاً موزعة وينهى ذلك إلى الآخرين كأنه قيل ألا ترون إلى عظم ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى الذي أجمعت عليه كافة الأنبياء عليهم السلام وفي ذلك ذم للاختلاف في الأصول"[13].

وقد عملت بنية الانزياح في تحركها من صيغة الخطاب الى صيغة الغياب على المستوى الصياغي، ومن حالة الوحدة والاستقامة إلى حالة الفرقة والانحراف على المستوى المعنوي على زيادة وعي المتلقي بمراحل التغير التي مرت بها الأمة الإسلامية، وهو تغيير اتسم بالمفارقة التامة في بعض المراحل وعمق هذا الانزياح إحساس المتلقي بهذه الثنائية الضدية، لأن مقتضى الظاهر يستلزم مستوى صياغيا واحدا وهو: (خطاب === خطاب)، وحالة معنوية واحدة

وهي:(وحدة===وحدة) [14].

وقد حاول الرازي أن يستخلص لهذا اللون من الانزياح ومقابله أي: من الغيبة إلى الخطاب قاعدة عامة حول هذه الصورة من الالتفات فيقرر " أن الانتقال في الكلام من لفظ الغيبة إلى لفظ الحضور فإنه يدل على مزيد التقرب والإكرام وأما ضده وهو الانتقال من لفظ الحضور إلى لفظ الغيبة يدل على المقت والتبعيد"[15].

وليس الأمر كما ذكر الرازي، لأن دلالة الانزياح عن الخطاب إلى الغيبة كغيره من صور الانزياح، تختلف باختلاف سياقه ومقامه، ولا تقتصر فقط على ما حاول الرازي تقريره، بل ان الموضع الواحد قد تتنوع أغراضه وتتعدد مقاصده باختلاف نظر المتلقي إليه، فكما أن الانزياح عن الخطاب إلى الغيبة قد يدل في سياقات معينة على المقت والتبعيد كما في الآيتين السابقتين فإنه قد يدل في سياقات أخرى على دلالات جديدة يوحي إليها السياق، ومن ذلك التشريف والتعميم، أين جوزه الألوسي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: 39] فيقول: "والالتفات عن الخطاب حيث قيل : فأولئك دون فأنتم للتعظيم كأنه سبحانه خاطب بذلك الملائكة عليهم السلام وخواص الخلق تشريفاً لحالهم ، ويجوز أن يكون التعبير بما ذكر للتعميم بأن يقصد بأولئك هؤلاء وغيرهم"[16]

- **الثاني: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:**

ومن أكثر الشواهد القرآنية التي يستشهد بها البلاغيون في هذا القسم سورة الفاتحة ، وفي قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 2 - 5] فحول الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قوله: إياك. وقد استعرض الألوسي آراء بعض العلماء حول السر في هذا الالتفات، ثم أردف بقوله: "ويحتمل أن يكون السر أن الكلام من أول السورة إلى هنا ثناء والثناء في الغيبة أولى ومن هنا إلى الآخر دعاء وهو في الحضور أولى"[17].

يفهم من كلام الألوسي أن الآيات الأولى من السورة كانت تحمل معنى الثناء الذي يتناسب مع الغيبة، أما الآيات التي بعدها تحمل معنى الدعاء فيتناسب معه الخطاب. ولهذا عدل عن الأسلوب الأول.

ولعل هذه الدلالة استوحاها من كلام ابن الأثير الذي كان أكثر توضيحا للمعنى، فيقول:" فإنه إنما عدل فيه من الغيبة إلى الخطاب لأن الحمد دون العبادة، ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده، فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال: الحمد لله ولم يقل «الحمد لك» ولما صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال: إياك نعبد فخاطب بالعبادة إصراحا بها وتقرّبا منه عزّ اسمه بالانتهاء إلى محدود منها"[18] .

ويأتي الالتفات من الغيبة إلى الخطاب للتشنيع والتقبيح نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ [مريم: 88، 89] جاء في تفسيره: "﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً ﴾ رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب المنبىء عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجرأة"[19].

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (192) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ

سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (193) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأعراف: 192 - 194]: قال الألوسي "والخطاب للمشركين بطريق الالتفات بدلالة ما بعد، وفيه إيذان بمزيد الاعتناء بأمر التوبيخ والتبكيت، أي وإن تدعوا الأصنام أيها المشركون إلى أن يرشدوكم إلى ما تحصلون به المطالب أو تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم إلى مرادكم ولا يجيبوكم ولا يقدرون على ذلك"[20] .

وقد يكون للتهديد كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾ [التوبة: 3] "والالتفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التهديد والتشديد" [21].

ويأتي أيضا للاهتمام والاعتناء نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ (62) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور: 62، 63

قال الألوسي: "والالتفات لإبراز مزيد الاعتناء بشأنه أي لا تقيسوا دعاءه عليه الصلاة والسلام إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في حال من الأحوال وأمر من الأمور"[22]

ومن أغراضه دفع الإيهام نحو قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ فالضمير في {خَلَقَ} ضمير الغائب (هو) يعود على الله عَزَّ وَجَلَّ، وكذلك في (وَأَنزَلَ) أما في (فَأَنْبَتْنَا) فقد عدل عن ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم (نحن) الدال على التعظيم، ورأى الألوسي أن الالتفات إلى التكلم بنون العظمة لتأكيد اختصاص الفعل بحكم المقابلة بذاته تعالى والإيذان بأن إنبات تلك الحدائق المختلفة الأصناف والأوصاف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع مالها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد أمر عظيم لا يكاد يقدر عليه إلا هو وحده عز وجل"[23] ، وقريب من هــذا المعنى ما أورده الشيخ الشعراوي في خواطره، قال عند تفسيره لهذه الآيــة: لأن نِعَم الله فيها أشياء لا دخْل للإنسان فيها كالخَلْق وإنزال المطر، ومثل هذه المسائل لا شبهةَ لا شتراك الإنسان فيها، وهناك أشياء للإنسان دَخْلٌ فيها كالزرع والإنبات، فهو الذي يحرث ويزرع ويسقي. . الخ مما يُوحِي بأن الإنسان هو الذي يُنبت النبات، فأراد سبحانه أنْ يُزيل هذا التوهم، فنسب الإنبات صراحة إليه عَزَّ وَجَلَّ ليزيل هذه الشبهة.[24]

- **الثالث: الالتفات من التكلم إلى الخطاب:**

يرى أحد الباحثين المعاصرين "أن الالتفات في هذه الصورة مما ينذر تحققه في لغة الكلام، وذلك للتوازي أو التباين التام بين موقفي الخطاب والتكلم، ففي الموقف أو السياق الواحد لا يتصور أن يكون الشخص الواحد –إلا على نحو من انحاء التجوز– متكلما ومخاطبا، أو مرسلا ومستقبلا في آن واحد.[25]

أما الألوسي فقد أشار إلى ثلاثة مواضع لهذه الصورة منها قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: 22] والأصل: وإليه أرجع، فالتفت من التكلم إلى الخطاب، للمبالغة في التهديد جاء في تفسيره: "وإليه ترجعون" مبالغة في تهديدهم بتخويفهم بالرجوع إلى شديد العقاب مواجهة وصريحاً ولو قال" وإليه أرجع" كان فيه تهديد بطريق التعريض. وعد التعبير "بإليه ترجعون" بعد التعبير "بما لي لا أعبد" من باب الالتفات كمكان

التعريض بالمخاطبين في "مالي لا أعبد" الخ" [26] ويرجع الشوكاني فائدة الالتفات إلى ناحية أخرى وهي أن الرجل قد أراد الملاطفة في النصح، فيقول : "ثم أبرز الكلام في معرض النصيحة لنفسه وهو يريد مناصحة قومه فقال" وما لي لا أعبد الذي فطرني" أي: أيُّ مانع من جانبي يمنعني من عبادة الذي خلقني ثم رجع إلى خطابهم لبيان أنه ما أراد نفسه بل أرادهم بكلامه فقال: (وإليه ترجعون) ولم يقل وإليه أرجع وفيه مبالغة في التهديد".[27]

فيفهم من كلام الشوكاني أن في الآية التفاتاً من التكلم إلى الخطاب لأن الأصل في التعبير أن يكون "وإليه ارجع" وفائدة الالتفات هنا المبالغة في التهديد.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: 1، 2] ويرجع الألوسي السر في هذا الالتفات بقوله "يمكن أن يكون في إسناد المغفرة إليه تعالى بالاسم الأعظم بعد إسناد الفتح إليه تعالى بنون العظمة إيماء إلى أن المغفرة ما يتولاها سبحانه بذاته وأن الفتح مما يتولاه جل شأنه بالوسائط."[28] ، فالمغفرة صفة من صفات الله سبحانه وتعالى ولهذا جيئ بلفظ الجلالة، أما الفتح كان من الله عن طريق الوسائط والأخذ بالأسباب.

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ﴾ [آل عمران: 195] وقد تزاحمت نكت الالتفات في هذه الآية يقول الألوسي: "وجعل التكلم في ﴿ إِنِّ ﴾ والخطاب في ﴿ مّنكُمْ ﴾ من باب الالتفات ، والنكتة الخاصة فيه إظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والتعرض لبيان السبب لتأكيد الاستجابة، والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء "[29] والحق أن قبول ظاهرة الالتفات لأكثر من توجيه، واحتمالها في الموطن الواحد لغير تفسير وهو مايغني حقول بنيتها بخصوبة الإيحاء وثراء الدلالة وهو دائما شأنها بل شأن غيرها من الظواهر التعبيرية في البيان القرآني، وهو أحد وجوه الإعجاز في هذا الكتاب الخالد الذي بقى وسيظل ثري النبع، متجدد العطاء."[30]

- **الرابع: الالتفات من الخطاب إلى التكلم:**

وهذا النوع من الالتفات نفى وجوده السيوطي[31] ، أما في تفسير الألوسي فلم أجد إلا موضعا واحدا له ، وهو عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [يونس: 21]

على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب، فالضمير في (قل) للمخاطب، وفي (رسلنا) للمتكلم

ففي هذه الآية التفات إلى التكلم في قوله:" رسلنا" وذلك بعد أسلوب الخطاب في قوله:" قل الله أسرع مكراً" فالله عز وجل خاطب نبيه بقوله: "قل الله "أي قل لهم يا محمد وعظهم بأن الله أسرع مكراً أي منكم فجعل مكر الله بهم أسرع من مكرهم بآيات الله.

قال الألوسي:" إن رسلنا" التفاتاً إذ لو أجري على قوله سبحانه:" قل الله" لقيل إن رسله فلا إشكال فيه من حيث أنه لا وجه لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم إن رسلنا إذ الضمير لله تعالى لا له عليه الصلاة والسلام."[32]

- **الخامس: الالتفات من الغيبة إلى التكلم:**

قد يكون الالتفات من الغيبة إلى التكلم للتنبيه والإيقاظ كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل: 51] فالالتفات من الغيبة في قوله: ﴿وَقَالَ اللّهُ﴾ إلى التكلم في قوله: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ ولم يقل: وهو فارهبوه.

يقول الألوسي: لأن تخويف الحاضر مواجهة أبلغ من تخويف الغائب سيما بعد وصفه بالوحدة والألوهية المتضمنة للعظمة والقدرة التامة على الانتقام" [33] ولتربية المهابة وإلقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم وكرر الفعل أي إن كنتم راهبين شيئاً فإياي ارهبوا."[34]

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ [الأنعام: 99] و ﴿ أَخْرَجْنَا ﴾ عطف على ﴿ أَنزَلَ ﴾ والإلتفات إلى التكلم إظهاراً لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله "[35].

وقد ينصرف الكلام من الغيبة إلى التكلم، لإزالة شبهة قد تعلق بذهن الإنسان، وللدلالة على قدرته تعالى في خلقه وابداعه. ففي تفسيره لقوله ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: 60] يقول الألوسي : "والالتفات إلى التكلم بنون العظمة لتأكيد اختصاص الفعل بحكم المقابلة بذاته تعالى والإيذان بأن إنبات تلك الحدائق المختلفة الأصناف والأوصاف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع مالها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد أمر عظيم لا يكاد يقدر عليه إلا هو وحده عز وجل".[36]

وقد يأتي الالتفات في هذه الصورة لتهويل الخطب ففي قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنفال: 54]

يقول:" والالتفات إلى نون العظمة في أهلكنا جرياً على سنن الكبرياء لتهويل الخطب"[37].

أو يأتي للإشعار باختلاف الأحوال في الكلام كما في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: 75] "فالالتفات إلى التكلم للإشعار باختلاف حال ضرب المثل والرزق، وفي اختيار ضمير العظمة تعظيم لأمر ذلك الرزق "[38]

- **السادس: الالتفات من التكلم إلى الغيبة:**

نحو قوله ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: 1، 2] بدأت السورة بحديث المتكلم العظيم عن نفسه، وهذا الأسلوب يناسبه بحسب الظاهر أن يكون الكلام بعده: "فصل لنا وانحر". إلا أن الكلام جاء على خلاف مقتضى الظاهر هذا، إذ حصل الالتفات من التكلم إلى الغيبة، فقال تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ وبين الألوسي فائدة هذا العدول بقوله: "وفي الالتفات عن ضمير العظمة إلى خصوص الرب مضافاً إلى ضميره عليه الصلاة والسلام تأكيد لترغيبه صلى الله عليه وسلم في أداء ما أمر به على الوجه الأكمل"[39].

وقد رأى الإمام الرازي عدة فوائد للالتفات في هذه الآيات فيقول:" كان الأليق في الظاهر أن يقول : إن أعطيناك الكوثر ، فصل لنا وانحر . لكنه ترك ذلك إلى قوله : { فَصَلِّ لِرَبِّكَ } لفوائد إحداها : أن وروده على طريق الالتفات من أمهات أبواب الفصاحة وثانيها : أن صرف الكلام من المضمر إلى المظهر يوجب نوع عظمة ومهابة ، ومنه قول الخلفاء لمن يخاطبونهم : يأمرك أمير المؤمنين ، وينهاك أمير المؤمنين وثالثها : أن قوله : { إِنَّا أعطيناك } ليس في صريح لفظه أن هذا القائل هو الله أو غيره ، وأيضاً كلمة { إنا } تحتمل الجمع كما تحتمل الواحد المعظم نفسه ، فلو قال : صل لنا ، لنفي ذلك الاحتمال وهو أنه ما كان يعرف أن هذه الصلاة لله وحده أم له ولغيره على سبيل التشريك ، فلهذا ترك اللفظ ، وقال : { فَصَلِّ لِرَبِّكَ } ليكون ذلك إزالة لذلك الاحتمال وتصريحاً بالتوحيد في الطاعة والعمل لله تعالى.[40]

ومنه قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: 53] كان مقتضى الظاهر أن يأتي التعبير لا تقنطوا من رحمتي إني أغفر الذنوب جميعا، ولكن حصل العدول عنه إلى من رحمة الله للإشعار بأن من صفات الله الجليل العظيم أن يغفر ذنوب من ينيبون إلى ربهم ويسلمون له، "فإضافة الرحمة إلى الاسم الجليل المحتوي على جميع معاني الأسماء على طريق الالتفات فإن ذلك ظاهر في سعتها وهو ظاهر في شمولها التائب وغيره ".[41]

وقد يأتي للمبالغة في إيجاب الامتثال كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: 158] ، فانتقل من المتكلم إني رسول الله إلى الغائب ورسوله ، ولم يقل: (فآمنوا بالله وبي)، "وإيراد نفسه الكريمة عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة على طريق الالتفات إلى الغيبة للمبالغة في إيجاب الامتثال" [42]

أو للإشعار بعلية الحكم مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: 13] "وفيه التفات من التكلم إلى الغيبة ، وأوثر للإشعار بعلية وصف الربوبية لإيمانهم ولما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم"[43]

وجاء للتفخيم كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: 5] يقول الألوسي "والالتفات من التكلم إلى الغيبة بإضافة الأيام إلى الاسم الجليل للإيذان بفخامة شأنها والإشعار على ما قيل بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الإضافة إلى ضمير المتكلم ، وحاصل المعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد"[44]، فجاء الالتفات في هذه الآية لتفخيم شأن الأيام, بإضافتها إلى الله سبحانه وتعالى، كما جوز الألوسي أن يكون الغرض هنا عدم اختصاص الأيام بموسى وقومه فقط ولهذا لم يقل ( بأيامهم ) ليشمل التذكير بتلك الأيام الخاصة بالوقائع التي حدثتْ للأقوام السابقين عليهم كقوم نوح وعاد وثمود، ذلك أن الحق سبحانه قد أعلمهم بقصص الأقوام السابقة عليهم؛ وما حدث من كل قوم تجاه الرسول المرسل إليه من الله.

الخـاتمـــة:

بعد دراستنا لأسلوب الالتفات في القرآن الكريم، وعند شهاب الدين الألوسي نوجز لنتائج التي تجلت لنا والمتمثلة في مايلي:

* أشار الألوسي إلى صور الالتفات الستة وشواهده في تفسيره، وقد رأينا أن مزيته البلاغية تختلف من أسلوب إلى أسلوب، ولا يمكن أن تضبط وتحدد مزاياه، والمهم في إدراكه هو حسن التأمل، وصدق النظر، والوعي بسياق الكلام ونوع المعنى.

* يتبع الألوسي مذهب الجمهور البلاغيين في تحديدهم لمفهوم الالتفات وهو: الانتقال من إحدى الصيغ الثلاثة: الحكاية والخطاب والغيبة.

* أسلوب الالتفات من التكلم إلى الخطاب مما ينذر وجوده في القرآن الكريم حسب بعض الدارسين، ولكن الألوسي استخرج ثلاثة مواضع له.

* تحدث الألوسي عن أسلوب الالتفات من الخطاب إلى التكلم في موضع واحد في تفسيره، في حين نفى السيوطي وجوده في القرآن الكريم.

* الالتفات أحد أساليب الانزياح يأتي قي القرآن الكريم لجذب انتباه المتلقي، والوقوف على الدلالة التي يريد ايصالها في تعبير موجز.

* فوائد الالتفات الخاصة هي أكثر من أن تحصى أو توضع تحت قاعدة معينة، لأن كل قسم من أقسام الالتفات مختص بفائدة أو فوائد تميزه عن غيره.

قائمة المصادر والمراجع:

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، دت، دار المعارف القاهرة، (5/ 4051).

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل لبنان،دت، 1999م، (5/ 258)

[3] البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حبنكة، دار القلم دمشق، ط1 ، 1996 م، (479/1)

[4] المرجع نفسه، (480/1)

[5] خصائص التراكيب، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1996 ص249

[6] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، دط. الدار التونسية، تونس، 1984م، (109/1)

[7] روح المعاني، الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت دط، 1994م، (1/ 75)

[8] ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي، المكتبة العصرية بيروت، دط،2003م (272/1)

[9] روح المعاني (1/ 91)

[10] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو حازم القرطاجني، تح: الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط3، ص134

[11] روح المعاني (6/ 91)

[12] التحرير والتنوير (11/ 135)

[13] روح المعاني (9/ 86)

[14] تحولات البنية في البلاغة العربية، أسامة البحيري، دار الحضارة.مصر، ط1، 2000م ص312

[15] مفاتيح الغيب .فخـرالدين الـــرازي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت. 2000م (17/ 56)

[16] روح المعاني (11/ 46)
[17] روح المعاني (1/ 92)
[18] المثل السائر، ضياء الدين ابن الأثير، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت، دط. 1420هـ (5/2)
[19] روح المعاني (8/ 454)
[20] المصدر نفسه (5/ 134)
[21] المصدر نفسه (5/ 243)
[22] المصدر نفسه (414/9)
[23] روح المعاني . (10/ 216).
[24] خواطر الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، مصر، 1997م، (17/ 10814)
[25] الالتفات في القرآن، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة،1998م، ص116
[26] روح المعاني، (11/ 398)).
[27] فتح القدير، الشوكاني، دار الكلم الطيب بيروت، ط1 ،1414 هـ، (4/ 419)
[28] روح المعاني (13/ 245)
[29] روح المعاني (2/ 378)
[30] الالتفات في القرآن، حسن طبل 107
[31] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، 1974م (3/ 290)
[32] روح المعاني (6/ 90)
[33] روح المعاني (7/ 403)
[34] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، دار إحياء التراث العربي بيروت. (5/ 119)
[35] روح المعاني (4/ 224)
[36] المصدر نفسه (10/ 216)
[37] المصدر نفسه (5/ 217)
[38] المصدر نفسه (7/ 432))
[39] المصدر نفسه (15/ 481).
[40] مفاتيح الغيب الرازي (123/32)
[41] روح المعاني (12/ 269)
[42] روح المعاني (5/ 78)
[43] روح المعاني (8/ 208)
[44] روح المعاني، (7/ 178)